خطب الملك سعود بن عبدالعزيز
وأثرها في المجتمع السعودي المعاصر

د. صالح بن علي أبو عرَّاد
قسم التربية وعلم النفس – كلية المعلمين في أبها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ﷺ، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فاستمراراً للنهج السعودي المعاصر يأتي الملك سعود بن عبدالعزيز – رحمه الله تعالى – ليواصل المسيرة الخيِّرة المباركة التي كان قد بدأها والده الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الذي وضع الأسس والركائز الرئيسة لبناء المجتمع السعودي الحضاري المسلم الذي تتمثل دعامته الأساسية في الشريعة الإسلامية السمحة، وما تضمنته من مبادئ وقيم مستمدةٍ من كتاب الله العظيم، وسنة نبيه الكريم – عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم – وسيرة الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من التابعين والأئمة المهديين، إضافةً إلى ما يزخر به التراث الإيجابي لسلف هذه الأمة الصالح من علوم ومعارف ومعطياتٍ حضارية مختلفة.

وانطلاقاً من حرصه – رحمه الله تعالى – على استمرارية مشروع البناء الحضاري لهذه البلاد؛ فقد اهتم بمختلف المكونات الضرورية لوحدة أبناء المجتمع السعودي المسلم، وكان لخطبه – رحمه الله تعالى – أهمية خاصة في تحقيق تنمية الفرد وبناء المجتمع عن طريق ترسيخ البناء القيمي لدى الشخصية السعودية، وكان لذلك أثره البالغ في

تحقيق الكثير من متطلبات المجتمع الحديث الذي ظهرت ملامحه ومكوناته مرتبطةً بتاريخه الحافل بالإنجازات الحضارية المتميزة التي كانت تسعى لمسايرة ركب الحضارة المعاصرة، ومواكبة مختلف مجالات وميادين التقدم والرقي.

وإذا كانت الخطب الملكية هي المصدر الرئيس لهذه الدراسة فإنها تبرز في مجموعها صفات الملك سعود بن عبدالعزيز المميزة له - رحمه الله تعالى - التي تتمثل في طموحه وتطلعاته إلى تحقيق التطور الحضاري للبلاد، وهو ما يشير إليه أحد الكتَّاب بقوله:

"وفي سعود شيء آخر يستثير الإعجاب: هو مرونته وتفهمه أساليب التطور الحديث، واستعداده للاستفادة من كل ذلك في رفع مستوى شعبه ورقيه"(١).

والدراسة الحالية تحاول الوقوف على بعض خطب الملك سعود - رحمه الله تعالى - وبيان دورها في بناء شخصية الفرد، وتنمية المجتمع السعودي المسلم.

موضوع الدراسة:

يتمثل موضوع الدراسة في الإجابة على التساؤلين الآتيين:

س١. ما أبرز المنطلقات الرئيسة التي يمكن استنباطها من خطب الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى؟

س٢. ما دور خطب الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - في تحقيق مطالب الفرد وتنمية المجتمع السعودي المعاصر؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في ما يأتي:

١ - أنها تهتم بدراسة بعض خطب الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - وتحليلها في مناسبات وتواريخ مختلفة.

---

(١) عبدالمنعم الغلامي. (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، الملك الراشد. ط (٣)، (د. ن)، ص٥١١.

٢ - أنها تهتم بدراسة أبرز المنطلقات الرئيسة في خطب الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى.

٣ - أنها تعنى بمعرفة دور خطب الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - في تحقيق مطالب الفرد وتنمية المجتمع السعودي المعاصر.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستدلالي لبعض خطب الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - وعددها (٣٠) خطابًا ملكياً في مناسباتٍ وتواريخ مختلفة جمعت في كتاب يحمل عنوان: (مختارات من الخُطب الملكية - الجزء الأول)؛ لغرضٍ تحليل مضمون هذه الخطب، ومحاولة الوقوف على دورها التربوي في بناء وتنمية المجتمع السعودي المعاصر.

الإجابة على تساؤلات الدراسة:

أولاً: ما أبرز المنطلقات الرئيسة التي يمكن استنباطها من خطب الملك سعود بن عبدالعزيز؟

باستعراض مجموعةٍ من خطب الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - وتحليلها، ودِراستها أمكن التوصل إلى أبرز تلك المنطلقات الرئيسة التي كان لها أبلغ الأثر في هذا الشأن، والتي منها ما يأتي:

١ - **أهمية التمسك بالدين وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى**: ويمكن إيضاح هذا المنطلق الرئيس من خلال الآتي:

- **العهد على التمسك بشريعة الله سبحانه**: فقد كان الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - يؤكد التمسك التام بالنهج الذي سار عليه والده الملك المؤسس، والمتمثل في ترسيخ هذا المبدأ والالتزام الكامل به في كل شأن من شؤون الحياة، والحرص على تحكيم شرع الله سبحانه. وقد أشار إلى هذا

المعنى في البيان الذي وجهه إلى شعبه الكريم بمناسبة توليه مقاليد الحكم، وفيه يعاهد الله تعالى على التمسك بالدين وتحكيم شرع الله تعالى قائلاً: "وأعاهد الله بالتمسك بكتابه الكريم، وسنة رسوله ﷺ، وسأكافح دونهما بلساني وعناني، باذلاً قصارى جهدي في إسعاد شعبي العزيز ورفاهيته"(٢).

وكان - رحمه الله تعالى - مع عنايته بالتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف يؤكد تشرفه بخدمة الشريعة، وحمايتها، والتمسك بها، ويعد ذلك من نعم الله تعالى عليه وعلى بلاده وشعبه، وهو ما يعبِّر عنه في نصيحته التي وجهها إلى جميع المسلمين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك لعام ١٣٧٥هـ بقوله:

"كما أنني أعاهد الله أن أكون خادماً لهذه الشريعة، حامياً لها بلساني وسناني، قائماً بواجبي، حامياً لوطني، أحلل ما أحلّت الشريعة، وأحرِّم ما حرّمت"(٣).

- **اتخاذ الوسائل المساعدة على تحقيق مبدأ التمسك بشريعة الله سبحانه:** وقد أوضح الملك سعود بعضاً من تلك الوسائل في خطابه الذي ألقاه في مهرجان الاحتفال بافتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض عام ١٣٧٣هـ بقوله:

"إن أول ما يهمنا جميعاً هو الاعتصام بحبل الله المتين، وأن نتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكِّن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة، حتى يخلِص الجميع العبادة لله وحده. وسنسير في ذلك بهدي كتاب الله في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال"(٤).

---

(٢) دارة الملك عبدالعزيز (١٤١٩هـ)، مختارات من الخطب الملكية. ج (١). الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ضمن إصدارات مكتبة الدَّارَة المئوية بمناسبة مرور مائة عامٍ على تأسيس المملكة العربية السعودية، ص١٧١-١٧٢.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٢١٧.

(٤) نفسه، ج١، ص ١٧٧.

- **مطالبة الشعب بالمساعدة والمساندة لتحقيق التمسك بالشريعة:** وهو ما كان يؤمله - رحمه الله تعالى - من أبناء البلاد في أن يكونوا عوناً له على ذلك الأمر العظيم، الذي اختاره وارتضاه، وهو ما أشار إليه في الخطاب نفسه حيث قال:

"فأرجو من عموم شعبي على اختلاف طبقاتهم أن يعينني على التمسك بهذه المبادئ الشريفة، وأن يكون عوناً لي على توطيد هذه الدعائم الفاضلة، وأن يحقق آمال العرب والمسلمين، ويبرهن لهم أنه الشعب الحي الذي لم تغيره أساليب المدنية الزائفة"(٥).

وليس هذا فحسب؛ فقد كان - رحمه الله تعالى - يعد خدمته للحرمين الشريفين من أعظم نعم الله تعالى عليه، ويرى ذلك شرفاً كبيراً ينبغي المحافظة عليه، وهو ما يشير إليه في كلمته التي ألقاها على جموع الحجاج في عام ١٣٧٨هـ حيث يقول:

"ومن تمام نعمته علينا أن أعطانا هذه النعمة الكبرى، وجعلنا خدّام الحرمين الشريفين، وشرَّفنا بزعامة الحجيج في كل عام، وهو شرف نشكر الله تعالى عليه ونحمده"(٦).

أكد في خطاباته الملكية أهمية مبدأ التمسك بالدين الإسلامي الحنيف

من هنا فإنه يمكن القول: إن الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - أكد في خطاباته الملكية أهمية مبدأ التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، وعدَّ ذلك من أجل نعم الله تعالى على هذه البلاد حكاماً ومحكومين، كما أكد ضرورة العمل الجاد والمستمر على تحكيم شرع الله في البلاد؛ ليكون ذلك منطلقاً رئيساً لتنمية الفرد وبناء المجتمع السعودي الحضاري المسلم.

---

(٥) المرجع السابق، ج١، ص٢١٦.

(٦) المرجع السابق، ج١، ص٢٣٩.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه كان لذلك التمسك من الحكّام في المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف "أثره الكبير في شعب المملكة، فقد حماه الله من التردد بين اختيارات عديدةٍ في حياته السياسية والاجتماعية، وأسهم ذلك في توحيد فكر الشعب وتوجهاته؛ بحيث ظل على توجهه الإسلامي الوحيد، آخذاً بشريعة الإسلام، وقيمه الخلقية والاجتماعية"(٧).

٢ - التزام سيرة الملك المؤسس في الحكم وتصريف شؤون البلاد:

ليس هناك من شك في أن التزام الملك سعود سيرة والده الملك عبدالعزيز في تصريف شؤون الحكم كان مبدأً رئيسًا يحرص عليه حتى قبل أن يتولى مقاليد الحكم، وقد قطع عهداً على نفسه بذلك، وهو ما أشار إليه أحد الكتّاب الذي ذكر أن الملك سعود حينما وصلته برقية والده التي يخبره فيها باختياره ولياً للعهد، ويوصيه فيها ببعض الأمور، كتب إلى والده برقية رد فيها على ذلك بقوله:

"جواباً على برقية مولاي، فإن جميع ما ذكره مولاي لخادمه هو عين الصواب، وإنه لا قوام لديننا ودنيانا إلا بالله ثم به، من اتبعه نجا بنفسه، ونجا من ولاه الله عليه، وإني إن شاء الله سأجتهد وأعتمد ما ذكره مولاي من النصائح الدينية والدنيوية"(٨).

والمعنى أن الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - كان حريصاً منذ أول بيان له على توضيح منهجه وبيانه في إدارة الحكم بعد والده الملك المؤسس، وهو ما يؤكده البيان الذي وجهه إلى شعبه الكريم بمناسبة توليه مقاليد الحكم، وفيه يقول:

"أما وقد قضت عليّ البيعة الشرعية التي في عنقي أن أرتقي الملك، وأتقلد مسؤولية الحكم؛ فإنني سأجعل نصب عيني سيرة

---

(٧) عبدالله بن عبدالمحسن التركي (١٤٢٠هـ)، الملك عبدالعزيز أمة في رجل. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص١٢٢.

(٨) عبدالمنعم الغلامي، الملك الراشد، ص٧٥.

والدنا المغفور له، وآراءه ومزاياه المجيدة في إدارة البلاد وتصريف شؤونها، متبعاً أحكام الدين المبين، معتصماً بحبل الله المتين"⁽٩⁾.

ويؤكد – رحمه الله تعالى – هذا المبدأ في خطابه التاريخي الذي ألقاه في مهرجان الاحتفال بافتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض في عام ١٣٧٣هـ؛ حيث يقول:

"لقد كان همنا منذ تولينا مقاليد الأمور أن نعتصم بكتاب الله، ونهتدي بهدي رسول الله، وسنة خلفه من السلف الصالحين، ثم نتبع سيرة والدنا العظيم في السياسة والإدارة، وفي كل مجالٍ من مجالات الإصلاح لنتعهد ما شيّد، ونتم ما بدأ فيه من أعمال، ونًقوم بكل ما نستطيعه لما فيه مصلحة بلادنا وشعبنا"⁽١٠⁾.

وقد استمر الملك سعود على هذا المبدأ طيلة فترة حكمه التي استمرت من يوم ٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ حتى ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ (أي قرابة أحد عشر عاماً)، وهو ما يشير إليه خطابه الذي ألقاه بمناسبة مرور عشر سنواتٍ على توليه الحكم عام ١٣٨٣هـ حيث يقول:

"إننا منذ أن شاءت العناية الإلهية، والبيعة العامة، أن تؤول إلينا مقاليد الأمور، ما زلنا عاملين على تصريف شؤون البلاد مهتدين بكتاب الله وسنّة رسوله والسلف الصالح...؛ فنحن نتبع خطا منشئ المملكة جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – في إعلاء كلمة الحق والدين، ونشر ألوية العدل بين الناس، وتحقيق الأمن والاستقرار لهم، وتهيئة أسباب الرفاهية والتقدم للبلاد في كافة الميادين"⁽١١⁾.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الملك سعود رغم التزامه سيرة والده الملك المؤسس في تصريف شؤون الحكم في البلاد إلاّ أنه قد حدّد

---

(٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص١٧١.

(١٠) المرجع السابق، ج١، ص١٧٦.

(١١) المرجع السابق، ج١، ص٢٧٨.

الهدف الذي كان يسعى إلى تحقيقه من توليه الحكم، وهو ما أوضحه في كلمته السامية إلى العالم الإسلامي بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك لعام ١٣٧٨هـ، والتي قال فيها:

"إن هدفي الأسمى في حكمي هو أن أسير بكم إلى قمة المجد والعزة؛ لنضاهي الأمم الراقية برفعة بلادنا، ومستوى معيشتنا، وذلك بما يتفق مع شريعتنا الغراء التي نسعى جميعاً إلى توطيد دعائمها"(١٢).

٣ - الاهتمام بالقضايا العربية والإسلامية:

تؤكد معظم خطب الملك سعود بن عبدالعزيز على اهتمامه الشديد، وتركيزه الواضح في مختلف القضايا العربية والإسلامية، فقد كان - رحمه الله تعالى - يدعو دائماً إلى وحدة الصف العربي الإسلامي، والعمل الجماعي المشترك لما فيه صالح الجميع، وهو ما أشار إليه في خطابه بالقصر الملكي في مكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ حيث قال:

"إن ما أدعو المسلمين والعرب إليه، وأدعو نفسي له هو العمل مع مجموع المسلمين والعرب والتعاون في كل ناحيةٍ من النواحي لتوحيد أهدافنا، ولا هدف لنا إلا سلامة أنفسنا، ومصافاة من يصافينا، واتقاء شرّ من يريد الاعتداء علينا، وأن نرى في كل عدوانٍ على أي جنبٍ من جنباتنا عدوانًا علينا"(١٣).

ومن الملاحظ في هذا الشأن أن اهتمام الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - لم يكن محصوراً في قضيةٍ دون الأخرى؛ فقد أكّد اهتمامه بمختلف القضايا العربية الإسلامية القائمة - آنذاك - ضمن خطابه في الحفل الكبير للحجاج بمكة المكرمة في ١٣٧٩/١٢/٦هـ حيث قال:

---

(١٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٤٠.

(١٣) المرجع السابق، ج١، ص١٩٠.

"إخواني، إن مشاكل المسلمين والعرب غير خافيةٍ على أحد منا؛ فهؤلاء إخواننا أهل فلسطين لا يزال لاجئوهم في العراء يقاسون آلاماً الحرمان، وهؤلاء إخواننا في الجزائر يجاهدون ويقاتلون بثباتٍ وإيمان صادق شهد لهم به العدو قبل الصديق. وهؤلاء إخواننا في جنوب الجزيرة، وفي جنوبها الشرقي يقاسون من الاستعمار ما ليس بخافٍ عليكم"(١٤).

وليس هذا فحسب؛ فقد أوضح - رحمه الله تعالى - حقيقة موقف المملكة العربية السعودية من نصرة القضايا العربية والإسلامية في قوله:

"وإنا نحمد الله أن تمكنا من القيام بجهدٍ متواضع في نصرة إخواننا في الجزائر مادةً ومعنى، وستستمر مساعدتنا لهم حتى يأذن الله لهم بالنصر، ويخرج آخر جندي مغتصب فرنسي من ديارهم، ولقد قطعنا علاقاتنا مع فرنسا إثر عدوانها على شقيقتنا مصر، ولم نر أن نعيد علاقاتنا معها إلا بعد أن تتجه الأمور إلى إعطاء إخواننا في الجزائر حقوقهم من الحرية والاستقلال غير منقوصة"(١٥).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - كان مع ذلك كله يرى أن ما تم تقديمه من مساعدات ونصرةٍ ماديةٍ ومعنويةٍ غير كافية؛ إذ إن هناك واجباً كبيراً على الأمةً العربيةً الإسلامية جمعاء في هذا الشأن، وهو ما أشار إليه بقوله:

"... أن نعمل على إخراج أعداء العرب من بلاد العرب، وأن يعيش العرب أحراراً في بلادهم، سواءً في فلسطين، أو الجزائر، أو الجنوب العربي، أو الجنوب الشرقي العربي"(١٦).

---

(١٤) المرجع السابق، ج١، ص٢٥٤.

(١٥) المرجع السابق، ج١، ص٢٤٦.

(١٦) المرجع السابق، ج١، ص٢٤٧.

ولأن الملك سعود يعيش هم إخوانه العرب والمسلمين في كل مكان من هذا العالم؛ فقد كان يغتنم أي فرصةٍ لنصرة قضاياهم، ومشاركتهم ولو بالدعاء لهم، وهو ما اشتمل عليه خطابه السامي إلى جموع المسلمين في عرفات عام ١٣٨٠هـ، وفيه يقول:

"إخواني المسلمين في هذا المشعر الحرام، دعونا نتوجه الآن في يومنا هذا، ومن مكاننا هذا إلى الله تعالى بقلوبنا وأسماعنا وأبصارنا وبخوالج أفئدتنا بالدعاء إلى الله أن يجمع على الخير قلوبنا؛ وعلى البر والتقوى عزائمنا، وأن يمن علينا برضوانه وغفرانه، وأن يرعى برعايته ويكلأ بعنايته إخواننا الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم ومن أوطانهم بغير حق، وأن يعيدهم إلى أوطانهم سالمين منصورين بعد أن يعين الله على إخراج العصابة الشريرة الفاجرة التي أخرجتهم من ديارهم ظلماً وعدواناً، وأن يؤيد بنصره إخواننا المجاهدين في عمان والجنوب العربي، حتى تتحرر جزيرتنا من الغاصبين والمحتلين، وأن ينصر الله بنصره إخواننا المجاهدين في الجزائر المدافعين عن بيضة الإسلام، وعن كرامة العروبة، وعن عقيدة التوحيد"(١٧).

والمعنى أن الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - كان دائم الاهتمام بالإسهام الإيجابي والفاعل في حل قضايا ومشكلات الأمة العربية على وجه الخصوص حرصاً منه على وحدة الأمة الإسلامية بعامة؛ حيث إنه كان يرى أن المحافظة على القومية العربية سبيل لحفظ وحدة الأمة الإسلامية وحمايتها، وهو ما يشير إليه في قوله:

"ونحن مع إخواننا العرب عاملون على حفظ قوميتنا العربية ومبادئنا العربية؛ لأنه إذا خلصت بلاد العرب للعرب، واجتمعت كلمتهم كانوا حصناً للإسلام ومبادئه"(١٨).

---

(١٧) المرجع السابق، ج١، ص٢٦٠ - ٢٦١.

(١٨) المرجع السابق، ج١، ص٢٤٤.

وليس هذا فحسب فقد تواصلت عناية الملك سعود بهذا الشأن لتصل إلى مستوى تبادل بعثات التمثيل الدبلوماسي، وإنشاء (رابطة العالم الإسلامي) التي كانت سبيلاً لدعم وإيجابية العلاقات بين المملكة وغيرها من البلاد الإسلامية في أرجاء المعمورة وهو ما أشار إليه الملك سعود في خطابه الذي ألقاه بمناسبة مرور عشر سنواتٍ على توليه الحكم في عام ١٣٨٣هـ حيث قال:

إن هذه البلاد تحرص كل الحرص على توثيق أواصر المحبة والتعاون مع كافة الشعوب

"إن هذه البلاد تحرص كل الحرص على توثيق أواصر المحبة والتعاون مع كافة الشعوب، وبخاصةٍ البلاد الإسلامية في جميع أرجاء المعمورة، وفي كافة المجالات التي تخدم مصلحة الدين والدنيا، ولهذه الغاية ابتغينا كل وسيلة للاستكثار من الروابط مع تلك البلادٍ والشعوب، وتعاونت بلادنا وإياها على حل مشاكلها، وإدراك أمانيها وآمالها القومية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. كما عملت على توطيد العلاقات الروحية والثقافية والاقتصادية بينها وبين المملكة العربية السعودية، وتبادلت معها البعثات التمثيلية، وأوفدت إليها واستقبلت منها الوفود، وأسهمت في إنشاء رابطة العالم الإسلامي سبيلاً لدعم هذه العلاقات، وكشفاً عن مجالاتٍ جديدةٍ للتعاون المثمر للخير المشترك"(١٩).

٤ - تحديد معالم السياسة الخارجية للدولة:

مما لا شك فيه أنه لابد لأي مجتمع إنساني يطمح في تحقيق السعادة والرقي الحضاري أن تكون له علاقات حسنة مع الآخرين من حوله، وهو الأمر الذي سار فيه الملك سعود على نهج وسياسة والده الملك عبدالعزيز؛ حيث حرص - رحمه الله تعالى - على تحقيق ذلك

---

(١٩) المرجع السابق، ج١، ص٢٧٩.

المنهج وتفعيله منذ بداية حكمه؛ فقد جاء في بيانه لشعبه الكريم بمناسبة توليه مقاليد الحكم عام ١٣٧٣هـ قوله:

"... كما أني سأواصل السعي في توثيق عرى الإخاء الإسلامي والعربي مع الدول الإسلامية والعربية، وسأحتفظ بصداقة الدول الأجنبية التي أولاها فقيدنا الغالي عنايته"(٢٠).

وقد أوضح الملك سعود بعض المقومات الرئيسة التي تقوم عليها السياسة الخارجية في عهده، المتمثلة في: المسالمة مع الآخر، والتعاون على الحق، ومقاومة الظلم، وحفظ المصالح المتبادلة. وهو ما أوضحه في خطابه الملكي التاريخي الموجّه إلى شعبه الكريم بمناسبة مرور سنةٍ على توليه حكم البلاد في عام ١٣٧٤هـ وفيه يقول:

"أما سياستنا الخارجية فقد أقمنا أسسها على مسالمة جميع الأمم، والتعاون معهم على ما فيه إحقاق الحق، ومقاومة الظلم، وحفظ المصالح المتبادلة بالتعاون والإنصاف. فمن والانا على ذلك واليناه وعرفنا له حقه، وأخلصنا له الصداقة وحسن المعاملة في السر والعلانية. فسياستنا سياسة سلمٍ ومسالمة، وصِدقٍ ومصادقة"(٢١).

كما أكّد - رحمه الله تعالى - معالم هذه السياسة الخارجية ومنهجيتها القائمة على التواصل المثمر والتفاعل الإيجابي مع دول العالم المختلفة، والمبنية على علاقات الاحترام المتبادل، والمشاركة في مختلف القضايا الإنسانية في أي مكان من العالم. وهو ما أشار إليه في خطابه الذي وجهه إلى المواطنين في عام ١٣٧٩هـ بمناسبة مرور ستة أعوامٍ على توليه الحكم قائلاً:

"شعبي العزيز، لست بحاجةٍ لأن أعلن لكم عن سياسةٍ خارجيةٍ أتبعها، ولا لوجهةٍ غير معروفةٍ لديكم أتوجه فيها؛ فإن سياستنا

---

(٢٠) المرجع السابق، ج١، ص١٧٢.

(٢١) المرجع السابق، ج١، ص١٩٧.

الخارجية التي عرفتموها والتي كان لها فضل كبير في تثبيت دعائم استقرارنا وعماد أمتنا، ما زالت هي السياسة القويمة القائمة على تحسين صلاتنا مع جميع الأمم، ما دامت مسالمةً غير متجاوزة على حقوقنا، وعلى التعاون الوثيق الكامل مع جميع الدول العربية على أسس جامعتنا العربية، عاملين على تقوية دفاعنا المشترك، وتكاتفنا الشامل؛ لرد العوادي عن عالمنا العربي"(٢٢).

وعلى الرغم من التأكيد الدائم والمستمر على أن تلك السياسة الخارجية كانت تقوم على المسالمة، وتحرص على تحسين الصلات مع جميع الدول الأخرى إلا أن موقف المملكة من الكيان الصهيوني كان واضحاً وصريحاً ومعلناً في كل وقتٍ وحين؛ إذ إنه يقوم على إعلان خطورته وضرورة حشد القوى لمواجهته، وهو ما أكده الملك سعود في خطابه الذي وجهه إلى المواطنين عام ١٣٧٧هـ بمناسبة مرور أربع سنواتٍ على توليه الحكم، وفيه يقول:

"كما عملنا على تحسين صلاتنا بجميع الدول الأخرى؛ إلا أننا نواجه شراً مستطيراً، وخطراً عظيماً يجب أن نوجه إلى مقاومته جميع قوانا، وكل إمكانياتنا، ذلك هو الصهيونية التي تمكنت من غرس مخالبها في جسم فلسطين العربية، تلك البقعة المقدسة والعزيزة على كل عربي ومسلم، فأقامت فيها كياناً ما فتئ منذ نشأته البغيضة يؤلب على العرب ودول الاستعمار، ويحيك لهم المؤامرات والدسائس، كي يحققوا مطامعهم الواسعة في البلاد العربية"(٢٣).

من هنا فإنه يمكن القول: إن الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - كان يركِّز في خطبه على تحديد وبيان معالم السياسة الخارجية للدولة، ويعلنها في كل مناسبةٍ بكل وضوح وصراحة وجرأة، وهو ما عبّر عنه أحد الكتّاب الصحفيين بقوله:

---

(٢٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٥٢.

(٢٣) المرجع السابق، ج١، ص٢٢٩.

"هكذا تساس الأمور في الوطن الصديق، سياسة الدين والدنيا، ممزوجةً بحكمة أصيلة، وبعد نظر حاد بعيد المدى. وهكذا يرفرف علم السلام، ولواءُ الأمانِ على المملكة العربية السعودية؛ فلا فتن، ولا دسائس، ولا اضطرابات. هذا (الاستقرار العجيب) توفيق من عند الله نرجو له أن يكون قدوةً ونموذجاً ومثالاً"(٢٤).

ثانياً: ما دور خطب الملك سعود بن عبدالعزيز في تحقيق مطالب الفرد وتنمية المجتمع السعودي المعاصر؟

لا شك أن عملية تنمية الفرد وبناء المجتمع في أي زمان ومكان تعتمد اعتماداً كبيراً على العناية بمختلف الجوانب الرئيسة في حياة الفرد والمجتمع لغرض تنظيم الحياة الاجتماعية التي تقوم على أساس التفاعل بين مكوناتها المختلفة. وباستعراض مجموعة من خطبه - رحمه الله تعالى - وتحليلها؛ أمكن التوصل إلى ما يأتي:

١ - دور خطب الملك سعود بن عبدالعزيز في العناية بالحرمين الشريفين وخدمة المشاعر المقدسة:

استمراراً لنهج الدولة السعودية في خدمة الحرمين الشريفين، والعناية بشؤونهما فقد أولى الملك سعود بن عبدالعزيز هذا الشأن عنايةً خاصة؛ حيث إنه كان يعد ذلك الأمر شرفاً كبيراً له وهو ما يؤكده في خطابه الذي ألقاه في حفلة العشاء الموسمية بالقصر الملكي في مكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ بقوله: "إني أخوكم الحارس المتشرف بخدمة الحرمين الشريفين"(٢٥).

وليس هذا فحسب؛ فقد كان يكرر ذلك المعنى في خطبه حيث جاء في خطابه الذي ألقاه إلى جموع الحجاج في عام ١٣٧٨هـ قوله:

---

(٢٤) عبدالمنعم الغلامي، الملك الراشد. ص٥٠٩. (نقلا عن فكري أباظة).

(٢٥) مختارات من الخطب الملكية. ج١، ص١٩١.

"فالحمد لله على هدايته وتوفيقه، ومن تمام نعمته علينا أن أعطانا هذه النعمة الكبرى وجعلنا خدام الحرمين الشريفين، وشرَّفنا بزعامة الحجيج في كل عام. وهو شرف نشكر الله تعالى عليه ونحمده"(٢٦).

من هنا فإنه - رحمه الله تعالى - كان قد تشرَّف بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة وعمارة المسجد النبوي في المدينة المنورة الذي انتهى في عام ١٣٧٥هـ، وقد جاء في خطابه بتلك المناسبة قوله:

"وكان لي الشرف بوضع الحجر الأساس، ولقد رأيت بعد أن توطدت الأمور لديَّ أن يتسع المسجد ليسع أكبر عددٍ من المصلين والزائرين، وأحمد الله أن تم كل شيء في عهدي، ويكون لي الشرف العظيم بافتتاحه اليوم بحضور هذا الجمع الذي يمثل المسلمين من مختلف الجهات"(٢٧).

ولأن مهمة العناية بالحرمين الشريفين وشرف خدمتهما مما يحرص عليها قادة هذه البلاد ويتشرفون بها دائماً؛ فقد اغتنم الملك سعود - رحمه الله تعالى - هذه المناسبة؛ ليعلن البشرى للعالم الإسلامي كله بقوله:

"وإني أنتهز هذه المناسبة السعيدة لأزف إلى العالم الإسلامي نبأ مشروعنا في توسعة المسجد الحرام في مكة المكرمة على هذا التنسيق الجميل، وقد ألّفت لجنةً للإشراف الدائم على تنفيذ هذا المشروع الذي يهمنا ويهم العالم الإسلامي أجمع"(٢٨).

ولم تمض إلا فترة يسيرة حتى كانت تلك البشرى العظيمة قد تحققت عندما أشار الملك سعود إلى ذلك في خطابه الملكي الكريم

---

(٢٦) المرجع السابق، ج١، ص ٢٤٨.

(٢٧) المرجع السابق، ج١، ص٢١٤.

(٢٨) المرجع السابق، ج١، ص٢١٤.

الموجّه إلى أعيان الحجاج في الحفل التاريخي الذي أقامه تكريماً لهم في القصر الملكي بمكة المكرمة ليلة ١٣٧٥/١٢/٧هـ حيث قال:

"كما كان من نعم الله علينا أن وفقنا الله للقيام بتوسعة الحرم المكي الشريف وإدخال المسعى في فنائه، وإزالة ما حول الحرم من البيوت؛ توسيعاً على حجاج بيت الله"(٢٩).

وقد تنوعت إسهامات الملك سعود بن عبدالعزيز في العناية بعمارة وخدمة المسجد الحرام لتشمل أعمالاً عدة، يأتي من أبرزها "تركيب مضخة لرفع مياه زمزم، وإنشاء بنايةٍ لسقيا زمزم، وتبليط أرض المسعى بالإسمنت، ثم ترميم سقف الكعبة المشرَّفة، وتوسعة المطاف بعد هدم المقامات الأربعة، وإعادة تشغيل مصنع كسوة الكعبة، وعمل قبو لبئر زمزم"(٣٠).

وليس هذا فحسب؛ فإن عنايته - رحمه الله تعالى - بالحرمين الشريفين قد تجاوزت منطقتي الحرمين الشريفين؛ لتصل إلى بقية المشاعر المقدسة في مكة المكرمة، وما ذلك إلا طمعاً في تأمين راحة الحجاج وسلامتهم، وتوفير ما يحتاجون إليه من خدمات مختلفة؛ وإلى ذلك يشير خطاب جلالته في الحفل السنوي الكبير للحجاج في عام ١٣٨٠هـ، وفيه يقول:

"ولقد وجّهنا عنايتنا البالغة لتأمين راحة وسلامة حجاج بيت الله الحرام؛ فأعددنا برامج لتخطيط مكة المكرمة، وتوسعة وإنارة شوارعها، كما تم وضع برنامج لتخطيط وتنظيم المنطقة التي تضم المشاعر والطرق المؤدية لها...، كما أولينا توفير مياه الشرب لحجاج بيت الله

---

(٢٩) المرجع السابق، ج١، ص٢٢٢.

(٣٠) انظر: محمد بن عبدالله باجودة، والهادي بن الحسين شبيلي (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، الحرمان الشريفان في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز. مكة المكرمة: الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص٤٥.

الحرام اهتمامنا البالغ، وقد تم تمديد شبكات مواسير المياه، وإقامة بعض الخزّانات التي تزود الحجاج بالمياه في مكة المكرمة والمشاعر"(٣١).

ومن هنا يمكن القول: إن خطب الملك سعود بن عبدالعزيز تؤكد عنايته المستمرة خلال فترة حكمه بالحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، إضافة إلى خدمة الأماكن والمشاعر المقدسة التي حظيت جميعها بالكثير من أوجه العناية والاهتمام المتمثلة في التوسعة، والتطوير، وتوفير الخدمات المختلفة، إلى غير ذلك.

٢ - دور خطب الملك سعود في تنمية الجانب العلمي والمعرفي:

امتداداً لتلك الجهود الكبيرة التي بذلت خلال عهد الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود في مكافحة الجهل والأمية، ونشر العلم والمعرفة في أنحاء البلاد تأتي جهود ابنه الملك سعود بن عبدالعزيز مكملةً لها؛ حيث حظي هذا الجانب في عهده - يرحمه الله تعالى - بما يمكن أن يوصف بأنه قفزة حضارية علمية ومعرفية، فقد تم في عهد الملك سعود إنشاء المدارس، وتأسيس المعاهد، وافتتاح الجامعات التي قامت بنشر العلوم والمعارف والوعي في أنحاء البلاد.

ويمكن الإشارة إلى دور خطب الملك سعود في تنمية الجانب العلمي والمعرفي من خلال استعراض الآتي:

أ - العناية بنشر العلم الشرعي: وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه بمناسبة مرور أربع سنواتٍ على توليه الحكم حيث قال:

"ولقد أولينا عنايتنا الخاصة لنشر علوم الدين، وإخراج أكبر عددٍ من العلماء الأخيار، كي يبسطوا مناهج الحق والعدالة بين الناس، وينيروا أفئدة الرعية بالعلوم الإلهية الوضاءة، فأسسنا المعاهد الدينية في المدن، وأقمنا مساجد الله في كل مجتمع"(٣٢).

---

(٣١) مختارات من الخطب الملكية. ج١، ص٢٦٩.

(٣٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٢٧.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن عناية الملك سعود بالجانب العلمي والمعرفي كان لغرض خدمة ونشر الدعوة الإسلامية التي كانت إحدى أهم اهتماماته، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي الكبير للحجاج في عام ١٣٨٠هـ، وفيه يقول:

"إخواني، لقد رأيت من واجبي أن أخدم هذين الحرمين الشريفين، وأن أبدأ العمل في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة؛ فأمرت بإنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة، وهيأت لها من الأسباب والوسائل ما يكفل لها أداء الرسائل السامية المرجوة منها؛ فاستقدمت عدداً من علماء المسلمين من بعض الأقطار الإسلامية، وضعوا لذلك برامج ونظما ومناهج. وستضم هذه الجامعة طلاباً من سائر أنحاء العالم، وسأحرص على أن يكون فيها عدد غير قليل من إخواننا الأفريقيين والآسيويين الذين يتشوقون لمعرفة الإسلامٍ في منابعه"(٣٣).

ولم يتوقف دور الملك سعود عند هذا الحد فقد كانت هناك بعض الخطوات التنفيذية التي اتخذها في هذا الشأن، فقد كان موقع هذه الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة "جزءاً من قصر جلالته - رحمه الله - حيث أهداه جلالته إلى الجامعة؛ ليكون مقراً لها بما اشتمل عليه من مبانٍ فارهةٍ وأثاثٍ فاخرٍ"(٣٤).

ب - **العنايةُ بنشر العلم العام**: وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه بمناسبة مرور أربع سنواتٍ على توليه الحكم حيث قال:

"... وأسسنا في هذه الحقبة القصيرة مئات المدارس؛ لتعليم أبناء الشعب مختلف العلوم، وافتتحنا بالأمس أول جامعةٍ سعوديةٍ بوصفها

---

(٣٣) المرجع السابق، ج١، ص٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣٤) أحمد بن عطية الغامدي وآخرون (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة. صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ص٤٧.

أولى، ستتبعها خطوات مماثلة بعون الله وتوفيقه لتعليم العلوم والفنون الخيِّرة النافعة"(٣٥).

كما أن اهتمامه - يرحمه الله تعالى - بنشر العلم والمعرفة بين أبناء البلاد يبدو واضحاً عندما حرص على إنشاء وزارة المعارف؛ لتتولى مهام تعليم مختلف أبناء الشعب السعودي وفئاته في البلاد أمور دينهم ودنياهم؛ وهو ما جاء في خطابه الذي ألقاه في مهرجان الاحتفال بافتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض عام ١٣٧٣هـ والذي قال فيه:

"كما أنشأنا وزارة المعارف للنهوض بالعمل على تعليم الشعب أمر دينه أولاً، ثم ما ينفعه في دنياه ثانياً، وسنخصص لها في الميزانية قسطاً كبيراً لتقوم بنشر العلم في كافة أنحاء البلاد"(٣٦).

ج - **إرسال البعثات الخارجية**: ويأتي هذا الأمر متمماً لعنايته - رحمه الله تعالى - بالجانب العلمي والمعرفي، حيث اهتم بإرسال الطلاب من أبناء البلاد في بعثات خارجية لطلب العلم، ودراسة بعض التخصصات العلمية المطلوبة لخدمة المجتمع السعودي، وهو ما أشار إليه في خطابه لحجاج بيت الله الحرام عام ١٣٨١هـ حيث قال:

"... فأخذنا بسبيل نهضةٍ شاملة عمّت أرجاء البلاد؛ فأنشأنا المدارس والمعاهد والجامعات لنشر مختلف العلوم والمعارف والفنون والصنائع، وبعثنا البعوث العديدة إلى مختلف معاهد العلم في الخارج"(٣٧).

وهنا يمكن القول: إن الجانب العلمي والمعرفي قد حظي بنصيب وافر من خطب الملك سعود بن عبدالعزيز، وما ذلك إلا لأهميته الكبرى وأثره الفاعل في عملية البناء الاجتماعي للمجتمع السعودي

---

(٣٥) مختارات من الخطب الملكية. ج١، ص٢٢٨.

(٣٦) المرجع السابق، ج١، ص ١٧٩.

(٣٧) المرجع السابق، ج١، ص٢٧٤.

المعاصر الذي حظي منذ ذلك الوقت بقيام العديد من الصروح العلمية والمؤسسات المعرفية في مختلف أنحاء البلاد؛ الأمر الذي نتج عنه - بلا شك - إيجاد طبقة مثقفة ومتعلمة بين مختلف فئات المجتمع، وهو ما أكده أحد الكتّاب بقوله:

"فأما (العلم) فإنه من أولى الأهداف التي سعى ويسعى لتحقيقها صاحب الجلالة؛ فهذه المعاهد والكليات والمدارس التي تموج بالطلاب من كل نوع ودرجة وفن، وفي كل حاضرة وبادية، وهذه المطبوعات التي توزّع مجاناً على طلاب العلم وطلاب المدارس على السواء لدليل محسوس وبرهان ساطع على التقدم العلمي العظيم، وهذه البعثات المتتابعة من أبناء الجزيرة في الجامعات، وهذه البعثات العلمية الوافدة من مصر وسواها من أسمى طبقات العلماء والمعلمين وبأعداد ضخمة ومؤهلات ممتازة كل ذلك مثل حي ناطق بالوعي المتمكن الذي تنبض به عروق كل سعودي"(٣٨).

٣ - دور خطب الملك سعود بن عبدالعزيز في توزيع المهام والمسؤوليات:

يقصد بالمسؤولية الشعور بالتكليف والأمانة الكبرى الملقاة على عاتق الإنسان انطلاقاً من معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾ [**الأحزاب**: ٧٢].

ومعنى هذا أن المسؤولية في الإسلام عامّة، وتشمل جميع أبناء وفئات المجتمع، مصداقاً لما صحّ عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال:

"كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس فهو راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول

---

(٣٨) أحمد إبراهيم الغزاوي، ازدهار العلم والأدب والصحافة والإذاعة في عهد جلالة الملك سعود. نقلاً عن مقالة كتبت في ربيع الأول ١٣٧٤هـ. مجلة المنهل. العدد (٥٥٥)، المجلد (٦٠)، العام (٦٤). شوال ١٤١٩هـ/ يناير - فبراير ١٩٩٩م، ص٨٨.

عنهم، والمرأة راعية في بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيّده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"(٣٩).

ولهذا فقد أشار الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - إلى تحمله شخصياً جزءاً كبيراً من المسؤولية حينما قال في خطابه الموجّه إلى الشعب بمناسبة توليه مقاليد الحكم:

"وأعاهد الله بالتمسك بكتابه الكريم، وسنة رسوله ﷺ، وسأكافح دونهما بلساني وعناني، باذلاً قصارى جهدي في إسعاد شعبي العزيز ورفاهيته، والعمل على رقي البلاد سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ساهراً على مصالح البلاد، وتأمين حقوق أبنائها، مذللاً كل عقبةٍ تعترض سيرنا في هذا السبيل"(٤٠).

ومما يؤكد عناية الملك سعود - رحمه الله تعالى - بتوزيع المهام والمسؤوليات، واستشعاره عِظم المسؤولية في هذا الشأن، أنه قام في بداية توليه للحكم بما يأتي:

أ - تحديد مهمة ولاية العهد:

فقد بادر الملك سعود بالإعلان عن تولية أخيه الأمير فيصل بن عبدالعزيز ولاية العهد، حتى يكون عوناً له بعد عون الله تعالى في تحمل مسؤولية الحكم وإدارة شؤون البلاد و في ذلك يقول:

"شعبي الكريم، وفي هذه الساعة التاريخية أحب أن أعلن لكم أني وليت أخي فيصل بن عبدالعزيز ولاية عهدي سائلاً المولى - عز وجل - أن يأخذ بيدنا في تحقيق ما أشرنا إليه من خيرٍ وسعادةٍ لشعبنا العزيز"(٤١).

---

(٣٩) محمد بن إسماعيل البخاري. (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م). صحيح البخاري. ط (٢). الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، الحديث رقم ٢٥٥٤، ص ٤١٢.

(٤٠) مختارات من الخطب الملكية. ج١، ص١٧١ - ١٧٢.

(٤١) المرجع السابق، ج١، ص١٧٢.

ب - دعوة أصحاب الكفاءات من أبناء البلاد للمشاركة في تحمل المسؤولية:

وهو ما حرص عليه الملك سعود حينما وجّه - رحمه الله تعالى - نداءً إلى المغتربين من أبناء الشعب السعودي في مختلف الأقطار يدعو فيه أصحاب الكفاءات المختلفة منهم إلى العودة إلى أرض الوطن للإسهام والمشاركة في مسيرة البناء والتعمير، وليفيدوا من خبراتهم المختلفة في نهضتها، وليتحملوا قدراً من المسؤولية في هذا الشأن وفي ذلك يقول:

"... ولهذا فإنا نهيب بأبناء أمتنا المغتربين في مختلف الأقطار، ممن لهم الكفاءات العلمية والفنية في الخدمات العامة من سياسيةٍ وإدارية وعسكرية وحقوقية وتعليمية وطبية واقتصادية وتجارية، أن يتقدموا للعمل مع أبناء أمتهم، للاستفادة من مقدراتهم وخبراتهم"(٤٢).

جـ - تشكيل مجلس الوزراء:

حيث قام - رحمه الله تعالى - في بداية توليه مقاليد الحكم بتشكيل مجلس الوزراء الذي أسند إليه تولي مهام خدمات الدولة وشؤونها وفق منهجية محددة وأنظمة مقررة؛ أخذا بمبدأ الشورى الإسلامي. وهو ما أكده في خطابه التاريخي الذي ألقاه في مهرجان الاحتفال بافتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض عام ١٣٧٣هـ بقوله:

"فأول ما عقدنا العزم عليه هو أن نجعل منكم إخواننا وأبناءنا ووزراءنا موضع ثقتنا ومشورتنا؛ لنتعاون معكم على النهوض بأعباء الحكم في هذه البلاد، فأنشأنا هذا المجلس (مجلس الوزراء)؛ ليكون مصدراً لجميع أعمالنا التي نقوم بها في خدمة الدولة، وسيكون أي عمل في الدولة مصدره ومرجعه منكم وإليكم، على أساس ما يقوم به كل منكم من أعباء وكّلنا الأمر فيها إليه، طبقاً للأنظمة المقررة له"(٤٣).

---

(٤٢) المرجع السابق، ج١، ص١٧٣.

(٤٣) المرجع السابق، ج١، ص١٧٦.

د - توجيه النصح للمسؤولين في الدولة وتحميلهم المسؤولية:

فقد حرص الملك سعود على توجيه الأمراء والمسؤولين في الحكومة إلى العناية والاهتمام بالرعية، ونصحهم بمراقبة الله تعالى وتقواه فيهم، طلب منهم القيام بما عليهم من واجبات ومسؤوليات نحوهم، وحمّلهم المسؤولية أمام الله تعالى فيما ولّاهم عليه من أمور وشؤون وحاجات المسلمين، وهو ما أكده في خطابه الذي وجهه إلى جميع أمراء المقاطعات والمسؤولين في الحكومة بتاريخ ٣٠ المحرم ١٣٧٥هـ، وفيه يقول:

"فأنا أنصحكم وأحملكم المسؤولية أمام الله يوم تلقونه حفاةً عراةً لا ينجيكم إلا أعمالكم الصالحة، أن تتقوا الله فيما وليتم عليه من أمور المسلمين، وأن تعدلوا بين الناس وتنصفوهم من أنفسكم قبل كل شيء، وأن تتواضعوا للمسلمين، وتحسنوا أخلاقكم، وتجعلوا الكبير أبًا، والأوسط أخًا، والصغير ابنًا، وأن تراعوا مصالحهم الدينية، وأن تتفقدوا أحوالهم؛ فالشيء الذي يمكنكم عمله من التخفيف عنهم اعملوه، والأمر الذي يصعب عليكم ارفعوه إلينا"(٤٤).

٤ - دور خطب الملك سعود بن عبدالعزيز في العناية بالشؤون الداخلية:

أدرك الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - منذ بداية توليه مقاليد الحكم أهمية العناية بالشؤون الداخلية للبلاد، وضرورة إصلاح مختلف الأوضاع الاجتماعية فيها، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الآتي:

أ - تقديم المساعدات العاجلة للمحتاجين من أبناء الوطن:

وهو الأمر الذي كانت بدايته عناية الحكومة بمد يد العون والمساعدة العاجلة لأهل البادية الذين كانوا يمرون - آنذاك - بأزمة شديدة لتأخر نزول المطر عليهم، وهو ما أكده - رحمه الله تعالى -

---

(٤٤) المرجع السابق، ج١، ص٢١١.

في خطابه التاريخي الذي ألقاه في مهرجان الاحتفال بافتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض عام ١٣٧٣هـ؛ حيث قال:

"لقد وجَّهنا عنايةً خاصةً لما فيه خير شعبنا بمحاربة الجوع والفقر والمرض، وقد عانت بعض مناطق بلادنا متاعب اقتصادية بسبب انحباس الأمطار فعملنا على نقل قسم كبير من البادية إلى حواضر المدن، وعملنا على تأمين حاجتهم من العيش. ونحمد الله الذي حلّ هذه الأزمة بفضله بما منّ علينا من الغيث الذي سيكون مساعداً لإزالة هذه الأزمة. كما أننا اتخذنا من الترتيبات ما يساعد الفقراء في تأمين معائشهم"(٤٥).

ب - وضع الخطط التنموية ورسم السياسات المستقبلية:

فقد كانت نظرة الملك سعود إلى هذا الشأن نظرةً مستقبلية؛ حيث حرص - رحمه الله تعالى - على النهوض بالمستوى الحضاري للبلاد من خلال مجموعةٍ كبيرةٍ من المشاريع الحضارية والعمرانية التي أعلن عام ١٣٧٣هـ عن إنشائها في مختلف المجالات والميادين الصحية، والمعرفية، والتعليمية، والزراعية، والمواصلات والطرق، والمجالس الإدارية والبلدية، وديوان للمحاسبة العامة، وديوان للمظالم. ولأهمية ذلك الخطاب التاريخي؛ فقد وصفه أحد الكتاب بقوله:

"وقد كان هذا الخطاب القيّم بمثابة دستور واسع شامل، ومنهج ضخم عام أظهر ما انطوت عليه شخصية جلالته من مقدرة، وما حوت عقليته السامية من مدارك، وما ضمت أكفه من عزم وحرص وحسن تدبير"(٤٦).

ونظراً لما كان الملك سعود يتمتع به من النظرة المستقبلية الثاقبة؛ فقد أسند مهمة متابعة النهضة الشاملة للبلاد إلى مجلس التخطيط الذي أشار إليه في خطابه الموجّه لحجاج بيت الله الحرام عام ١٣٨١هـ، وقال فيه:

---

(٤٥) المرجع السابق، ج١، ص١٧٩.

(٤٦) عبدالمنعم الغلامي. الملك الراشد، ص٤٦١.

"ورغبةً منا في الأخذ بأسباب تقدم البلاد وعمرانها على أسس علمية سليمة، وردها إلى أصول منطقية؛ فقد عهدنا إلى مجلسٍ التخطيط بدراسة حاجات البلاد في جميع المرافق العمرانية والاقتصادية، ووضع المشروعات، وإعداد مراحل التنفيذ وفق حاجات البلاد وسيرها الحثيث نحو التقدم والرقي"(٤٧).

وليس هذا فحسب؛ بل إن النظرة المستقبلية كانت عند الملك سعود تعني التوسع في المشروعات التنموية الحكومية وفق خطط تنموية وحضاريةٍ مدروسة، وهو ما عبّر عنه بقوله في الخطاب الموجّه لأعضاء الدورة الأولى لمجلس الوزراء عام ١٣٧٣هـ:

"وبالإضافة إلى ذلك؛ فقد قررنا وضع برنامج مستقل موزع على سنواتٍ خمس للمشروعات الكبرى، للإنشاء والإصلاح والتعمير"(٤٨).

وفي هذا الخطاب بعد تنموي مستقبلي يتمثل في حرص الملك سعود على أن يكون توزيع المهام والمسؤوليات من خلال تحديد مهام الوزارات، والإدارات، والمرافق الحكومية بصورةٍ عامة.

جـ - تفقد أحوال المواطنين وتلبية احتياجاتهم:

وهو ما أكده - رحمه الله تعالى - من خلال زياراته الميمونة لأنحاء البلاد، وحرصه على تفقدها والعناية بشؤونها، ومعرفة أحوال أبنائها عن كثب، وهو ما أفصح عنه في كلمته لأهالي المنطقة الجنوبية بالمملكة عام ١٣٧٣هـ التي جاء فيها قوله:

"لقد عزمنا منذ تولينا الحكم أن نزور جميع أنحاء بلادنا منطقةً منطقة، لتفقد شؤونها، ونعلم حاجاتها، ونقدر إمكاناتها، ثم نتصل بالكبير والصغير من أفراد شعبنا، ولنعرف أحوالهم، ونعلم ما تصبو إليه نفوسهم من إصلاح لدينهم وأنفسهم وبلادهم، ولنستمع إلى

---

(٤٧) مختارات من الخطب الملكية. ج١، ص٢٧٥.

(٤٨) المرجع السابق، ج١، ص١٨٠.

شكواهم، ونحس آمالهم وآلامهم؛ كي نقوم - بعون الله وتوفيقه ثم بمؤازرتهم جميعاً - بنهضة مباركة شاملة...، وقد زرنا في الشتاء المنصرم - بعون الله وتوفيقه - المناطق الشرقية، والشمالية، وقلب البلاد. ثم ها نحن ننهي بالأمس زيارتنا الثانية للمناطق الجنوبية، وبعض المناطق الغربية"(٤٩).

من هنا فإنه يمكن القول: إن الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - قد اهتم اهتماماً بالغاً في خطبه بالشؤون الداخلية للبلاد انطلاقاً من كونها أساساً ومنطلقا لتنمية الفرد وبناء المجتمع السعودي المعاصر، وهو الأمر الذي نجح فيه نجاحاً باهراً ولافتاً للنظر؛ حيث تم توجيه مسيرة التنمية في البلاد للّحاق بمسيرة التقدم والرقي العالمية، والانضمام إلى ركب الحضارة المعاصرة في شتى مجالات وميادين الحياة.

ونظراً لصعوبة حصر مختلف الإصلاحات الحضارية الداخلية التي تمت في عهده؛ فإنه يمكن وصف ذلك العهد الزاهر بكونه عهد مواصلة مسيرة البناء والتقدم الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر، وهو ما أشار إليه أحد الكتاب بقوله:

"وقد التفت جلالته إلى سواد الناس يرفع مستوى حياتهم، ويدفع الفقر المكلكِل عليهم، ويحوّل أموال البلد إلى مشاريع تدرّ اللبن والعسل، والمأمول أن تأتي أكلها قريباً"(٥٠).

---

(٤٩) المرجع السابق، ج١، ص١٨٤.

(٥٠) عبدالمنعم الغلامي، الملك الراشد، ص٥١١ - ٥١٢.

التوصيات والمقترحات:

١ - جمع خطب ورسائل وكلمات وأقوال الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - في إصدار واحد يتم توثيقه وتبويبه خدمة للباحثين الذين يرغبون في تناول هذا الجانب بالدراسة والتحليل.

٢ - الاهتمام بدراسة وتحليل خطب الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - التي وجهها لشعبه الكريم في المناسبات المختلفة، وإخضاعها للدراسة والتحليل من زوايا مختلفة للوقوف على دورها في بناء المجتمع السعودي المعاصر.

٣ - تسليط الضوء في محتوى بعض الخطب للملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - من خلال تضمينها بعض مفردات المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية المعنية بهذا الشأن.